وظائف اللغة إبان فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر
- دراسة لسانية اجتماعية-

الأستاذ : بلال دربال
قسم الآداب و اللغة العربية
جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر

ملخـــص:

وظائف اللغة تختلف بين اللسانيات العامة و اللسانيات الاجتماعية.

فلقد عبث الاستدمار الفرنسي للجزائر بالوظائف اللغوية وسعى بكل ما لديه لإعادة ترتيب البيت اللغوي الجزائري، وتحميل الفضاءات اللغوية الموجودة وظائف غير بريئة. تعكس السياسة اللغوية الاستدمارية.

هذا الصراع اللغوي مهم جدا من منظور اللسانيات الاجتماعية، التي تركز على دراسة تفاعل البنى اللغوية بالبنى الاجتماعية.

Résumé :

Les Fonctions linguistiques diffèrent entre linguistique générale et sociolinguistique

Ainsi le colonialisme français en Algérie a manipulé les fonctions linguistiques afin de réorganiser le cadre linguistique Algérien; en surchargeant les espaces linguistiques existants de fonctions suspectes, qui reflètent la politique linguistique colonialiste.

Ce conflit linguistique est très important du point de vue de la sociolinguistique qui se concentre sur l'étude des résultats de la reaction des structures linguistiques avec les structures sociales.

بعد ظهور اللسانيات الحديثة ذات الطابع البنيوي، و الذي يركز على شكل اللغة[1]، ظهر في المقابل خطاب آخر يركز على الوظائف الاجتماعية للغة لا على شكلها. فما هو تعريف الوظيفة من الوجهة اللسانيات الاجتماعية ؟ و ما هي وظائف اللغة ؟

أولا: تعريف الوظائف اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية:

وظائف اللغة حسب تعريف 'قورمان''Gorman' هي " القرارات الصادرة من سلطات مختصة بقصد المحافظة على لغة أو توسيع مجالات الاستعمال للغة ما في مجتمع معين"[2]. و في الحقيقة تحديد الوظيفة اللغوية لا يكون بإسناد 'منزلة'Statu'' بعينها لكل لغة؛ بل لا بد من بُعد هام جادا؛ و هو تصورات الناطقين بتلك اللغة أو اللغات و مواقفهم منها[3]. لذا تحديد الوظائف اللغوية ليس حكرا على الدستور.

ثانيا: وظائف اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية:

وفقا لتعريف 'قورمان' القاضي بأن الوظائف يحددها الدستور؛ فإن 'ستيوارت''Stewart' حدد وظائف اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية فيما يلي:

1- **الوظيفة الرسمية**[4]: تعني أن اللغة الرسمية هي معتمدة لأداء كافة الأنشطة الممثلة للدولة، سياسيا وثقافيا. يحددها الدستور. ولها ثلاثة أنواع (مظاهر):

أ- اللغة الدستورية الرسمية (القانونية) وهي التي يصفها الدستور بذلك.

ب- اللغة العملية الرسمية (الإدارية) و التي بها يتم التعامل الإداري و على لافتات الطرقات وعلى العملة و طوابع البريد.

جـ- اللغة الرمزية الرسمية التي تستعملها الدولة كرمز لها و لقوميتها.

2- **الوظيفة الإقليمية**[5]: أي وظيفة الاستعمال الإقليمي و في حدود الإقليم، وهي لغة تؤدي دور اللغة الرسمية في حدود جغرافية محددة، فلا وظيفة قومية لها. ويمكن أن تنسحب عليها الأنواع الثلاثة للغة الرسمية.

3- **الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق أوسع**[6]: و تعني أن اللغة تستعمل للتفاهم عبر الحدود اللغوية بين الأقليات في الأمة الواحدة، و لا يمكن أن تؤدي الوظيفة العمودية (بين الحاكم و الرعية) لا الرسمية و لا الإقليمية، لأنها للتواصل الأفقي (بين أفراد الرعية).

4- **الاستعمال الدولي**[7]: و تعني هذه الوظيفة أن للغة استعمالا في الأغراض الدبلوماسية و التجارة الدولية و السياحة..

5- **الاستعمال اللغوي في العاصمة و ما حولها**[8]: و لها مهمة التواصل في حدود عاصمة الدولة و ما حولها.

6- **الاستعمال الخاص بالمجموعات**[9]: حيث توكل للغة مهمة التفاهم الطبيعية بين أفراد مجموعة عرقية و ثقافية واحدة؛ مثل القبيلة أومجموعة مهاجرين مستقرين. و قد ترتقي هذه الوظيفة - بشكل غير رسمي- لتشكل معيار الانتساب و العضوية للمجموعة، فتصبح هذه اللغة عامل تحديد للهوية.

7- **استعمال اللغة أداة للتعليم**[10]: و تعني جعل اللغة أداة للتدريس في المؤسسات التعليمية على المستوى الإقليمي والقومي.

8- **استعمال اللغة مقررا دراسيا(تعلم لغة ما)**[11]: وتعني تدريس اللغات التي ليست لغات رسمية و لا إقليمية.

9- **استعمال اللغة لأغراض أدبية**[12]: و هي تعني استخدام اللغة للكتابات الأدبية و الأكاديمية.

10- **استعمال اللغة لأغراض دينية**[13]: ويقصد بهذه الوظيفة استعمال اللغة عند أداء الطقوس الدينية و الفرائض التعبدية. ويلحق بها أيضا استعمال اللغة في التعليم الديني و تصحيح العقائد و الوعظ والإرشاد و قراءة النصوص المقدسة.

ثالثا: الوظائف اللغوية إبان فترة الاستعمار:

ينتج عن تمايز الوظائف اللغوية الاجتماعية للغات على الامتدادات الجغرافية، عدم انتظام اللغات بعلاقة القوة و بالتالي عدم خضوعها لقانون "الغلبة تكون للأقوى"[14]، فاللغة العربية و اللغات الأمازيغية واللهجات العامية العربية لا تخضع لقانون القوة، و هو ما يفسر تعايشها طيلة قرون. في ذات الحين سوء توزيع الوظائف على اللغات يجعلها تنتظم في علاقة قوة وتدافع كما حدث بين اللغة العربية و غريمتها الفرنسية. فكيف كان توزيع الوظائف -التي حددها 'ستيوارت''Stewart' و نقلها عنه 'كوبر' و 'عبد الفتاح عفيفي'-

بين مختلف اللغات في الجزائر إبان فترة الاستدمار الفرنسي في الجزائر؟

1- الوظيفة الرسمية:

إن اللغة العربية كانت لغة رسمية للبلاد، و هي اللغة الأم لأغلبية الشعب الجزائري خاصة الناطقين بها[15]. لكنها لم تكن تؤدي كل الوظائف المنوطة باللغة بالرسمية، كاعتمادها في كل الأنشطة السياسية والثقافية. فاللغة العربية قبل الاحتلال لم تكن لغة رسمية دستوريا (قانونيا)، لأن هذه الوظيفة كانت مسندة للتركية فقط، ثم أثناء الاحتلال أسندت للغة الفرنسية. وفي كلا المرحلتين لا يعكس وضعها الدستوري حالها الميداني؛ فهي لم تخضع للدسترة رغم كونها لغةً أمًا لمعظم السكان. لذا بقيت وظيفة اللغة العربية الرسمية محصورة في الوظيفة الرسمية العملية، و إن لم يحددها الدستور أيضا لا قبل الاحتلال و لا أثناءه. فهي بقيت لغة التعامل اليومي (في البيت و الحقل و السوق و تسميات الأشخاص و الشوارع و المدن..) ولغة التعليم وحتى الإدارة ولكن بشكل محدود جدا، فيما لا يمكن للفرنسية القيام به كتوثيق بعض من العقود والفتاوى وتعليم القرآن.. و رغم كل هذا الإجحاف التي لاقته من غريماتها الفرنسية؛ إلا أنها نجحت في التعبير عن الوظيفة الرسمية الرمزية للجزائريين - رغم عدم دستوريتها لا قبل و لا أثناء الاحتلال- لأن الجزائر كانت منذ الفتوحات الإسلامية تعتز بالانتماء القومي العربي.

فاللغة العربية بهذا الواقع لم تكن لغة رسمية دستورية، و كانت لغة رسمية عملية ورمزية، و إن لم يحدد الدستور ذلك و لم يعلن عليه، و هذا ينسحب على فترة ما قبل الاحتلال أما أثناء الاحتلال فقد حاول الاحتلال أن يسحب من العربية الوظيفة الرسمية بمفاهيمها الثلاث. و لعل هذا ما عجزت عن تحقيقه اللغة التركية و خططت الفرنسية للوصول إليه.فهل نجحت في ذلك؟

"يشكل إعلان أي لغة بأنها اللغة الرسمية «..» مثالا لرسم السياسة اللغوية «..» و على العكس من ذلك فإن اللغات الدستورية الرسمية غالبا ما يتم تجاهلها"[16]. لكن الإدارة الفرنسية سعت إلى دسترة لغتها وأعلنت عنها لغة رسمية وحيدة في الجزائر خلافا للعادة، لاقتناعها بأنها تسبح عكس التيار اللغوي السائد في الجزائر، فلو كان للفرنسية امتداد

لغوي في العمق التاريخي و الاجتماعي الجزائري؛ لما احتاجت فرنسا لدسترتها، و الإعلان عن ذلك. ثم إن هذا الإعلان يؤكد وجود سياسة لغوية فرنسية مبيتة، تتخفَّي وراء قرارات فوقية تتعسف في التعامل مع نظام اللغة الداخلي و الخارجي.

فالإعلان عن اللغة الرسمية يعني إنكار شرعية التباين اللغوي في المجتمع[17]، رغم كون التباين واقعا ملموسا على الأقل بين اللغة العربية و الفرنسية. ولكن الأحادية اللغوية هي واحد من المزاعم التي حاولت فرنسا تأكيدها للعالم، من خلال إعلانها عن دستورية اللغة الفرنسية في الجزائر؛ فالجزائر- بهذا الإعلان- فرنسية لا عربية و لا أمازيغية طالما لا يعترف الدستور بهما.

لكن هذه القرارات الإجبارية لم تغيّر واقعا مستقرا منذ قرون، لأنها قرارات لا تحترم نظام اللغة في تعاملها مع المجتمع. فقرار 'شودان"Chaudain"'(وزير داخلية فرنسا في عام 1938)- الذي يمنع الشعب الجزائري من تعلم لغته -قرار لم تشهده شعوب قبل الشعب الجزائري بهذه الكيفية[18]!

و كانت قبله الإدارة الفرنسية قد أصدرت قرارات تجتث العربية و تعليمها من كل الجغرافيا الجزائرية، ومنها قرارات اغتصاب أملاك الوقف؛ المصدر المالي الإسلامي و الغذاء الوحيد للتعليم و الترقية الاجتماعية[19].

لكن رغم صرامة الإدارة الفرنسية في تطبيق هذه القرارات لم تستطع أن تمنع اللغة العربية من أن تجد طرقها إلى لسان الجزائريين. مما يجعل دسترة اللغة الفرنسية لا تغير شيئا من الوظيفة الرمزية للغة العربية في الضمير الجمعي الجزائري. بل الدسترة أدخلت اللغة الفرنسية - في علاقتها بالعربية و الهوية الوطنية- في حالة صراع و تصادم لا في حالة انسجام و توافق؛ لأن اللغة الرسمية أصبحت رديفا للإقصاء و التهميش بأخذها لطابع السلطة دون احترام خصوصية الآخرين، مما جعل الدفاع عن العربية دفاعا عن الذات[20].

2-الوظيفة الإقليمية:

قبل الاحتلال لم يخضع تقسيم الجزائر إلى أقاليم و عمالات على أساس لغوي. لذا لم تكن هذه الوظيفة اللغوية مطروحة على الساحة الجزائرية، لكن بدخول الاستدمار حاول أن يبقي الوضع على حاله مع تلوين هذه الأقاليم و العمالات باللون اللغوي أيضا؛ فمثلا عمد إلى تكريس المنطق اللغوي في مجموع بلاد زواوة و سماها القبائل[21]، و مثلها منطقة الأوراس والتوارق.. وقد وجدنا من المبشرين من يكرس ذلك؛ فأحد القساوسة ألقى السلام بالفرنسية على طفل أمازيغي في منطقة القبائل، فرد عليه السلام بالعربية، فقال له القس:" لا تسلم علي بلغة ليست لغتك، بل سلّم علي بالقبائلية"[22].

3- وظيفة الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق أوسع:

سيطرت عليه اللغة العربية بمظهرها العامي، و الذي لا يمثل الشكل الرسمي للغة العربية. فهي تستعمل للتواصل الأفقي بين لأفراد الرعية و لا تؤدي وظيفة التواصل العمودي في المقامات الإجلالية مثل اللغة العربية في مظهرها الفصيح. و في الحقيقة تمايز الوظائف اللغوية الاجتماعية للغات في الجزائر، جعل اللغة العربية الفصحى تنفرد بوظيفة اللغة الوطنية، في مقابل ذلك انفردت العاميات و الأمازيغية بوظيفة التواصل العادي.

فالتباين الوظيفي بين الفصحى و عامياتها ليس غريبا؛ لأن اللغة الفصحى في أية أمة تلعب دور الملكة التي لا تقبل التعدد، أما اللهجات واللغات الشعبية المحلية فهي تلعب دور الخادمات المساعدة للملكة في الشؤون العادية اليومية غير الرسمية. فإذا كان من الممكن عند الضرورة، أن تقوم الفصحى بأعمال الخادمات، فلا يمكن أن يحدث العكس، و هذا في الحقيقة دعوة لترسيم الدارجات العربية وغير العربية، و هو انتحار لصالح الاستعمار الفرنسي وحده في الجزائر[23]. لأنه "إذا تواجدت في نفس المجتمع لغات متغايرة وظائفها الاجتماعية أمكن تنشيطها بإدخالها في علاقة قوة. و عملا بقانون «الغلبة تكون للأقوى» يلزم أن تحيى اللغة الكبرى العالمة لكثرة وظائفها، و تنقرض الصغرى العامية لوظيفتها الأحادية ولا ينعكس أبدا استنادا إلى مبدأ الاقتصاد"[24].

أما عن الفرنسية فحرص فرنسا على ترقية لغتها - في مستعمرتها الجزائر- دفعها إلى محاولة جعل اللغة الفرنسية لغة التداول الواسع العمودي(بين الحاكم و المحكوم) و الأفقي(بين المحكومين فيما بينهم مرورا بفترة انتقالية، تجعل اللغة الفرنسية لغة فئة معينة من الجزائريين، خاصة العاصمة و ما حولها، ثم لغة كل المواطنين إذا نجحت في خطتها الإدماجية.

و لكن رغم ذلك ظلت العربية لغة المجموعة الأساسية، لأن بها يُبنى مخيال الفرد وعالمه العاطفي[25]. واحتكرت وظيفة الانسجام الاجتماعي، وهي وظيفة تقوم على وظيفة التعبد و وظيفة التثقيف الوطني.

4- وظيفة الاستعمال الدولي:

أسندت للغة الفرنسية في فترة الاحتلال و خاصة في التعامل مع غير العالم العربي. فقد كانت اللغة الفرنسية هي لغة الدبلوماسية و التجارة الدولية و السياحة و غيرها.

ولكن رغم ذلك، ظلت اللغة العربية تتميز بوظيفة الاستعمال الدولي، لأن اللغة العربية الفصحى تتميز بكونها جامعة للهجاتها داخل الدولة وخارجها، بل لا يمكن التعرف على بيئة المتكلم إن تكلم العربية الفصحى. لذا فهي تؤدي وظيفة الاندماج الاجتماعي، إذ تدل على الانتماء القومي و الانتماء الوطني[26].

فاللغة العربية بهذا تنفرد بوظيفة التواصل الدولي، و تليها الفرنسية ولا تشاركها فيها الأمازيغية أو العاميات. و لعل اللغة العربية تفوقت على غريمتها الفرنسية خارج حدود الجزائر لأن للعربية وظيفة الاندماج النطاقي●، فهي اللغة المستعملة بوظائفها الثلاث السابقة●● في 22 بلدا مجمل مساحتها حوالي 14 مليون كلم^2، و لا تستطيع لهجة عامية أن تشارك اللغة العربية في هذه الوظيفة بسبب قطرية اللهجة، كما لا تستطيع اللغة الأمازيغية ذلك أيضا نظرا لطابعها القبلي[27].

5- وظيفة الاستعمال اللغوي في العاصمة و ما حولها:

يقول 'عثمان سعدي' عن لغة العاصميين:" المعروف أن لهجة العاصمة في أي قطر تعتبر أرقى من لهجات المناطق الأخرى و قد شذت مدينة الجزائر التي تعتبر لهجتها أفقر لهجات الجزائر و ذلك بسبب معاناتها من الوجود التركي طيلة ثلاثة قرون، و من الاستيطان

الفرنسي و الأوربي طيلة قرن و ثلث قرن"[28]. فلم تكن للعاصمة لغة خاصة للتواصل في حدود العاصمة و ما حولها، رغم كون الجزائر عاصمة سياسية واقتصادية للدولة و لها نفوذ اجتماعي كبير.

6- وظيفة الاستعمال الخاص بالمجموعات:

وهي وظيفة تضطلع بها العاميات العربية الجزائرية و الأمازيغية. لكن هذه العاميات العربية تثري معجم تداولها اليومي من لغتها المرجعية وهي الفصحى. في حين أن الأمازيغية منذ الفتح الإسلامي ليس لها مورد تأخذ منه مفردات التداول اليومية سوى العربية الفصحى، ثم الفرنسية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وبعض الأقطار المغربية الأخرى[29]. لذا كانت للغة العربية وظيفة الوعاء الناقل لثقافة شعبية ثرية(الشعر والطبخ واللباس..) حيث شكلت الملجأ الأخير الذي يأوي إليه الجزائريون عندما هدم الاستعمار جميع البُنى بشكل منظم[30]. فوظيفة التثقيف الوطني و ترقية العاميات و الأمازيغية هي مهمة الفصحى لحمولتها الثقافية، و هذه وظيفة لا تنازعها فيها أي لغة من اللغات المحلية لافتقارها إلى النسق الحرفي لكتابة[31].

إن اللغة العربية الفصحى متعايشة بكيفية تكاملية مع اللهجات العربية المتفرعة عنها، بنفس الكيفية والطريقة التي تتعايش و تتكامل بها مع اللغات الأمازيغية. لكن نظريا إذا تساوت لغات من حيث وظائفها الاجتماعية و اتحد مجالها الجغرافي، واشتركت في وظيفة التواصل العادي، و استوطن الناطقون بها نفس المنطقة، عندئذ تنتظم بينها علاقة القوة بميزان الكثرة، فتنشر لغة الأغلبية و تندثر لغة الأقلية. و بناء على ذلك؛ فالذي يتهدد الأمازيغية في الحقيقة هي اللهجات العامة لا العربية الفصحى[32]. خلافا لما روَّج له الاستعمار! ومن هنا كيف كانت العلاقات الوظيفية بين العاميات و الأمازيغية؟

قد تتغير وظيفة اللغة نتيجة عوامل نفسية عند الناطقين بها، كالخوف من السخرية أو إخفاء الانتماء القومي..33. و هذا ما ظهر جليا عند جماعة النخبة●، في اعتمادها اللغة الفرنسية في تواصلها اليومي.

ولعل من دوافع مثل هذا السلوك دلالات السخرية و الدونية التي تربطها فرنسا باللغات الأخرى، كسخرية الفرنسيين مما يسمونه حكايات كورسيكية أو حكايات بلجيكية"34. ومن هذه الإشاعات التي حاصرت بها فرنسا استعمال الجزائريين للغتهم الاستهانة بكل ما هو عربي، من القول و العمل والتقاليد و الأزياء و المحيط، فصوروا كل ما هو عربي ككائن قبيح، ناقص، غير صالح للتطور و من ذلك قولهم:'الطبع العربي'، و'العمل العربي'،و'الفوربي العربي'، و'البقرة العربية'، و 'التين العربي أوالبربري'..35. وما هذا التحقير إلا تكريسا لروح الانهزامية، و عملا على إنهاك الجزائري نفسيا و لغويا.

هذا عن استعمال العاميات. أما عن الأمازيغية، فالملاحظ حول وظيفة استعمالها ما يلي:

أولا: لم تقدم كتب التاريخ أرقاما لعدد الجزائريين الناطقين بها في زمن الاستعمار.

ثانيا: التنوع الجغرافي لانتشار الأمازيغية يقابله تنوعلغوي مدهش يصل إلى حد انتفاء التواصل بينها. وعدم التواصل بها خارج مناطقها و اعتماد العربية لغة مشتركة36. وهذا يعود إلى "الفروق الصارخة في الكلمات و المعاني بين لهجة الشاوية بالأوراس و بين القبائلية في جرجرة و بين لهجة البجاويين في بجاية و بين لهجة النامشة في تبسة و بين لهجة التوارق بتمنراست و لهجة السيزاريين بتيبازة و لهجة بني ميزاب بغرداية و لهجة الندارمة بتلمسان ولهجة الحراكتة بأم البواقي"37.

و هذا يؤكد انتفاء التواصل بين الأمازيغييات جزئيا و أحيانا كليا. فإذا اجتمع في المنزل الواحد القبائلي والشاوي و التارقي و الميزابي تواصلوا بلغة حضارية مشتركة ألا و هي اللغة العربية أو بواسطة ترجمان38. لذا فهي لم تحظ بالتقعيد و لا بالتوحيد وظلت محصورة في المشافهة فقط، أما الكتابة فتظل ظاهرة هامشية لا رسوخ لها حاليا[39].

فالإسلام في الجزائر مد بين قبائل الأمازيغ جسرا لغويا، بِلُغة استوعبت كل تراث الأمازيغ، لثراء معجمها و لقرب أصواتها من الأمازيغية، و لبساطة نسقها الكتابي. فانحسرت الأمازيغية شيئا فشيئا تاركة مجالها الحيوي ليتعرب كلية[40]، حيث استحوذت العامية العربية على حظ كبير، لأن اكتساب العامية يتم بالممارسة و ليس بالتمدرس المكلف جهدًا ووقتًا

ومادةً.

إن الاحتلال جعل وظيفة الاستعمال الخاص بمجموعات الأمازيغ أحد محاور سياسته اللغوية العدائية. فعندما سعى لنفض الغبار على الأمازيغية، بدعوى الحقوق اللغوية للأقليات، إنما كان يتخفى لتنفيذ أجندته التقْويضية للاستقرار اللغوية الذي تنعم به الجزائر منذ قرون. ولم تقف هذه اللعنة التي تريد فرنسا إلحاقها بهذا الوطن عند هذا الحد؛ بل أوقدت نار فتنة لغوية وعرقية حتى بين الأمازيغيين أنفسهم، بدعوى الثراء الثقافي الأمازيغي الواجب إحياؤه وتكامله. و بهذا حمَّلت الإدارة الفرنسية الأمازيغية وظيفةً تشطيرية للوضع اللغوي الجزائري.

إن ما حصدته السياسة الفرنسية كان معظمه لغير صالحها. لأن المساس باللغة المقدسة أو محاولة الالتفاف عليها بالأمازيغية، هو مساس بخصوصية الأمازيغيين، و بالرابط الذي يوحدهم قبل رابط العرق. لذا كانت السياسة اللغوية الفرنسية الالتفافية في منطقة القبائل، سببا في السرعة المدهشة لانتشار اللغة العربية وسط الأمازيغيين على حساب الأمازيغية، فكان تدمير السياسة اللغوية الفرنسية في تدبيرها؛ إذ نشَّطت الذاكرة الجماعية للسكان فاسترجعوا الماضي البهيج الذي عاشه الأمازيغ مع إخوانهم العرب، فتضاعف الشعور برمزية العربية، فانحسرت الأمازيغية وتخلت عن وظيفتها حتى في الحياة العملية، و رضيت أن تبقى لغة سمرٍ في البيوت فقط. فقد جاء في تحقيق صدر سنة 1913 أنه منذ 1892 إلى 1914م أي طيلة 25 سنة أصبحت اللغة العربية أكثر انتشارا عند الأمازيغيين، و أصبحت لغة التعامل والعلاقات الاقتصادية والنشاطات الاجتماعية، في حين انحسرت الأمازيغية في البيوت[41].

7-8- وظيفة استعمال اللغة أداة للتعليم و وظيفة استعمالها مقررا دراسيا:

يقول 'كوبر':" من المعتاد أن يفرض المستعمر لغته على النظام التعليمي للمستعمَر. ويمكن حدوث مثل هذا الفرض التعسفي حتى في المستعمرات الأحادية اللغة. كما حدث في إيرلندا و تونس. وعلى الرغم من أن السياسة التي تم اتباعها كان لها تبريرا واضحا في حالة المستعمرات المتعددة اللغات كما في الهند والكمرون"[42]. ولكن فرنسا لم تفرض لغتها

فقط بل فرضت حتى ثقافتها. كتب 'جورج هاردي' -أحد الفرنسيين-كلمة يقول فيها:"إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا، و جعلهم أكثر ولاء وأخلص في خدماتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة، و أن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، و بذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية و تقاليدنا. فالمقصود إذن باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما نريد"[43].

و عادة ما يتم تحديد لغة التدريس بقرار يشترك فيه السياسيون و رجال الأسرة التعليمية؛ إلا أن تحديد هذه الخيارات، كان من مهمة رجال السياسة الفرنسية و بعض من الخبراء الذين قدموا تقاريرهم حول الأوضاع اللغوية و غير اللغوية للجزائر حتى قبل احتلالها. و هذا يعني عدم إشراك الأسرة التعليمية الجزائرية في تحديد لغة التعليم و لا اللغات التي سيشملها التعليم.

إن تيارات المعمرين من أصحاب المصالح و النفوذ السياسي و الاقتصادي، كان معظمهم يرى ضرورة ترك الجزائريين جهالا، في حين يرى بعضهم توفير نوع ملائم من التعليم، بل كان المعمرون يطالبون بتدريس اللغات غير الرسمية و لا الإقليمية، كالعربية العامية(الدارجة)، و بعض من اللغات الأوربية[44].

و قد تحركت فعلا جهود فرنسا في هذا الاتجاه وعمدت إلى جعل الدارجة مقررا دراسيا للفرنسيين خاصة في عهد 'بيجو'، و أسسوا معهد 'الكوليج العربي' في باريس سنة1839، يكون «مشتلة» للمترجمين المقدر لهم العمل في الجزائر. و قد وصلت نسبة معرفة الكولون بالعربية 20 % من الرجال و 10 % من النساء يستطيعون التحدث قليلا بالعربية، و لكن لا يكتب بها إلا 1.7 % من الرجال و 0.5 %من النساء45.

إن اتجاهات المدرسة الفرنسية في الجزائر كانت عبارة عن بدائل طرحتها فرنسا لما استولت عليه من منشآت جزائرية، إلا أن الاتجاه الذي تبنته في هذه السياسة اللغوية التعليمية هو تجاهل حاجيات المواطنين والسير وفق مصالحها و ما تحتاجه من الجزائريين في مجالات معينة. كالوظائف التي لا يستطيعها الفرنسيون. مثل: ترجمة القضاء الشرعي، الإمامة والإفتاء، و تدريس العربية الفصحى..و يلاحظ أن هذا النوع من التدريس يحمل -

ظاهريا- طابعا عربيا إسلاميا، ولكنه مطعم بروح استعمارية فرنسية، لأن الهدف من إنشائه هو محاربة التعليم الإسلامي الأهلي، و منافسة 'جامع الزيتونة' و'القرويين'.

يقول 'كوبر':" فاللغات تدرس لتحقيق عدد من الأهداف على سبيل المثال، لتمكين العباد من قراءة النصوص المقدسة المكتوبة بلغات قديمة. أو لتمكين الخريجين من الحصول على وظائف تتطلب التحدث بلغة ثانية، أو لتمكين الطلاب من الاستفادة من تعليم يقدم بواسطة لغة ثانية أو لربط الطلبة بتراثهم القومي أو العرقي أو لتمييز طبقة الصفوة عن العامة. و يبدو أن الهدف الأخير هو الدافع وراء تقليد تزيد ممارسته على قرون"[46]. و كل هذه الأهداف لا تتحقق إلا بتعليمية العربية لغةً أولى و الفرنسية لغة أجنبية ثانية. إلا أن فرنسا عند رسمها لسياستها اللغوية قفزت فوق كل هذه الحقائق اللسانية الاجتماعية، وحاولت استثمار وظيفة "استعمال اللغة مقررات للتعليم" لتحقيق أهدافها الدينية و الاجتماعية و الثقافية عن طريق تعليم الفرنسية فقط. مع السماح للعامية المهجنة بالتركية وغيرها، أن تزاحم الفرنسية بما يخدم مصالح فرنسا أساسا."و قد ثبت ثبوتا قطعيا أن اختلاط الألسن المتباينة نمطيا يفسد الملكات اللغوية"[47].

فمساهمة اللغة العربية في ربط الأجيال بتراثها لم تسمح به الإدارة الفرنسية. بل عمدت إلى اعتماد اللغة الفرنسية لتنهض بهذه الوظيفة رغم حساسية هذا الاختيار، لأن التناقض حادٌ بين التراث القومي و العرقي للغة الفرنسية و التراث القومي و العرقي للجزائريين. ولكن فرنسا ضغطت بشدة لأجل استعمال لغتها مقررا دراسيا في المدارس و الزوايا الخاصة بتعليم العربية. ولم تجد أي حساسية في فرض لغتها على الجزائريين و في مدارسهم . لذا لا غرابة أن يقاوم الجزائريون ذلك، لأن في المقاومة تناغم مع الذات الدينية و اللغوية و التاريخية.

لذا أعد الاحتلال المحيط التربوي بمكر كبير؛ فالعربية الفصحى كانت غائبة قانونيا من التعليم الابتدائي، وأجبر التلميذ الجزائري على دراسة اللغة العامية في حصتين أسبوعيا، توكل إلى موظف هو 'شيخ العربية'، يُختار غالبا لجهله بقواعد التعليم و شذوذ هندامه و سوء تصرفه، لضرب مكانة لغة الضاد في نفوس التلاميذ و تشويه صورتها في وجدانهم. و

يزيد هذا الإخراج المفتعل سوء، أن حصص الدروس نصوصها سخيفة، ركيكة، مثيرة للسخرية، و تليها مباشرة عن قصد، دروس المواد الفرنسية، الموكولة غالبا إلى معلمة في غاية الكفاءة المهنية والدراية بعلم النفس و طرائق التدريس، و بهيئة أنيقة، تفوح منها الروائح العطرة عند التجوال بين الصفوف. و هنا يجد التلميذ نفسه مجبرا لا شعوريا على عقد مقارنة بين حالتين، تخرج منها لغة الأجداد الخاسر الأكبر. بل من جراء هذه الممارسات الخبيثة، يوجد من كهول جيل الاستعمار من لا يزال - إلى يومنا- يُكِن للعربية الكراهية شديدة و يشعها في محيطه[48]. و هو سبب ظهور جماعة رخوة الشخصية، هي جماعة النخبة، لم يتبنوا أفكار الغرب، ووسائل عيشه، و طريقته في العمل و ثقافته و تعليمه فقط، بل أرادوا أيضا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي[49]. وهذا يؤكد حقيقة لسانيات اجتماعية هامة وهي أن أهم وظائف اللغة هي 'الوظيفة الهويتية' identitaireLa fonction'.

لذا جعل اللغة الفرنسية أداة للتدريس في المؤسسات التعليمية لم يفلح في القضاء على العربية. يقول'ميليه' في كتابه "اللغات في أوروبا الحديثة":"إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ عن كونها لغة دين و لغة مدنية، و على الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، و لمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد عن اقتناع و طواعية من الإسلام إلى النصرانية"[50]. لأن اللغة العربية تملك وظيفة التثقيف الوطني و هي وظيفة لا تُطلب في لغة أجنبية[51].

إن اللغة العربية حافظت على نفسها من خلال ثلاث قنوات. الأولى هي المدارس القرآنية ، و الثانية هي الوعظ و الإرشاد في المساجد، أما الثالثة فهي إنشاء فرنسا مدارس ثانوية باللسانين سنة 1850، مع التركيز طبعا على اللسان الفرنسي. و قد ساهمت هذه المدارس في تخرج عدد من الجزائريين المختصين في الصحافة و التعليم و الترجمة شكلت جماعة النخبة معظم عددها، أما المدارس القرآنية و المساجد فنجحت في الاحتفاظ بالعربية حية رغم تواضعها و تخلف مستواها[52].

و عن مستوى هذا التعليم يقول'مصطفى الهشماوي':" لا أميل إلى القائلين بأن التعليم

عندنا- في العهد العثماني- كان أحسن من الذين هاجمونا. و إني أميل إلى القول بأنه كان عندنا الكم و هم كان عندهم النوع، و كانت علومهم عملية و علومنا نظرية واجتماعية"[53].

إن التعليم ليس ضمانا لبقاء لغة ما، و هذه حقيقة لسانية، فتواجد اللغة حيثما كان التواصل هو الذي يحفظها لغة حية. ثم إن في السياسات اللغوية "تُنْتقى اللغة الأجنبية لِمِلْئها الثقافي لا لمعيار سياسي، و تدرج في المنهاج التربوي بمقتضى فرض الكفاية، حتى إذا تقرر تعليمُها لعيّنة من التلاميذ سقطت معرفتها عن الباقي"[54]. فكيف كان موقف الجزائريين من تعليمية الفرنسية؟

تقول المؤرخة الفرنسية 'إيفون توران"YvonneTURIN':"ردَّ المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة(1830-1850) يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ"[55].

لقد أدرك الجزائريون قيمة اللغة الفرنسية في الدفاع عن شخصيتهم. إذْ "تُدرج اللغة الأجنبية في المنهاج التربوي لجلب المنفعة ودفع المضرة، فتحصل الأولى بتوسيل تلك اللغة لشفط ما توافر لدى أهلها من خبرة صناعية وثقافة بشرية مشاعة. أما دفع المضرة فيكون بإفراغ اللغة المعنية من الثقافة الوضعية الخاصة بأصحابها"[56]. و بهذا المعيار أصبحت اللغة الفرنسية بالنسبة للجزائريين تؤدي وظيفة أمْنية؛ لأن إتقان لغة المستعمر و تمثل طريقة تفكيره، واستيعاب علومه، يسهل عليهم مقارعة ظلمه.

9- استعمال اللغة لأغراض أدبية:

لقد عملت الإدارة الفرنسية على تكريس لغتها لغة للأدب في كل المدارس التي أنشأتها، لكن الغريب هو التناقض في تعاملها مع التراث الذي وجدته قائما متأصلا في الجزائر عند احتلالها؛ فمن جهة حاولت طمس التراث الذي تحمله اللغة العربية، و هو تراث واسع الانتشار، ومن جهة أخرى حاولت إحياء تراث اللغة الأمازيغية محدود الانتشار، و هذا هو الضحك على الذقون بحق! لأن جهود فرنسا لإحياء التراث الأمازيغي، ما هي إلا قدْح في خيارات أمازيغية قديمة، عندما اعتنق الأمازيغ الإسلام و حملوا تراثه و لغته، و ما يزال أحفاد الأمازيغ أوفياء لخيارات الأجداد. كما أن من السخرية تعريف الأمازيغيين بتراثهم وهم

أعرف الناس به! لذا ليس غريبا أن يعتبر الأمازيغيون الظهير البربري● قُفَّازا في يد فرنسا57.

إن الحديث عن لغة الأدب هو حديث عن دور الكتابة في حفظ الآداب، و لا شك أن العربية والفرنسية لا تعانيان من مشكل الرسم. في مقابل الدسيسة التي اختلقتها فرنسا في سياستها اللغوية تجاه الأمازيغية عند محاولة بعث تراثها و إحياء خطها. فما الحقيقة اللسانية الاجتماعية للكتابة الأمازيغية؟

افترض اللسانيون المعنيون ببعث "تمازيغت"، حين وجدوا خصائص- صوتية و معجمية أو صرفية وتركيبية- متقاربة بين اللغات القبلية المدروسة، افترضوا وجود لغة منقرضة(اللغة الأم المراد إحياؤها)، على غرار ما كانت تفعل اللسانيات السلالية في القرن التاسع عشر.ثمإن الفيلولوجيا الأمازيغية لا تتوفر على شواهد قديمة لتراث مكتوب للأمازيغيات، فلا تواصل مكتوب بين الأجيال."و في انتظار التحقق العلمي من هذه الافتراضات العملية نخلص مما قدمناه إلى أن لغات إمازيغن شفوية مثل الغالبية العظمى من لغات القبائل في إفريقيا وفي غيرها من القارات، و أنه لم يثبت في أدلة تاريخية مادية أن كتبت تمازيغت بتفناغ"58.

فأصل الكتابة البربرية لا تزال نقوشها غامضة[59]. و ها هو 'إشليجل'- أحد رواد الفيلولوجيا المقارنة - يصف من يحاول أن يعيد بناء مثل هذه اللغة المنقرضة على أساس هذا التوهم بكونه "نبيًا يتنبأ بالذي مضى"[60]. لأنه "لم يثبت التاريخ أن ملوك البربر قد استعملوا الأمازيغية في الخطاب الرسمي و لا في الإدارة أو في مصالحهم العسكرية، فكانت لغتهم النوميدية أو الرومانية أو الفينيقية"61.

فلم يتحقق لحد الآن العثور على ديوان حضاري لهذه اللغة، لذا هي الآن تستعمل الأبجدية العربية لكتابتها عند الشاوية، والأبجدية الفرنسية لكتابتها عند القبائل، و لقد بذل الكاتب الجزائري 'مولود معمري' جهودا ليجعل منها لغة مكتوبة، خاصة بعد اكتشاف بعض الرموز المنحوتة في أعماق الطاسيلي، ولكنه لم يوفق بسبب غموض هذه الرموز62. بل فضَّلت الأغلبية من الأمازيغ المحافظة على الخط العربي في مقابل من استهواهم الخط

اللاتيني[63].

و ذلك لأن العربية لم تمس الأمازيغية بأي سوء منذ أن حلت بالبلاد، ولعل بقاء الأمازيغية حية تستعمل في التواصل أقوى برهان على ذلك. بل لم تعمل العربية على القضاء على لغة أصلية وجدتها عند شعب من شعوب الدنيا التي دخلها الإسلام، ولعل هذا من أسباب قوتها، و خير دليل على ذلك هو اللغة الفارسيةو التركية و اللغة الأردية في شبه القارة الهندية[64]. و هذا ما جعل الكتابة العربية أكثر انتشارا من العربية ذاتها[65].

إن فرنسا تعلم بعدم وجود نصوص قديمة للبربرية، و أن الأمازيغ استعملوا في الكتابة لغات أخرى، كالفينيقية و اللاتينية و العربية [66]. و لكن رغم هذه الحقائق الثابتة حاولت فرنسا أن تجعل من الكتابة عند الأمازيغيين رمزا أكثر من كونها واقعا تاريخيا أو تقنية تدوين67، إبطالا لوحدة المؤسسات الثقافية العربية الأمازيغية و زرعا للفتنة بينها، و تفكيكا للبناء الاجتماعي بإثارة للعصبية الطائفية و للنزعة القبلية[68].

10- وظيفة استعمال اللغة لأغراض دينية:

وهي وظيفة العربية للجزائريين و اللغة الفرنسية للفرنسيين، سواء عند قراءة النصوص المقدسة والشعائر التعبدية أو عند التعليم الديني وتصحيح العقائد و الوعظ. و يدرج 'محمد الأوراغي' هذه الوظيفة ضمن أحد وظائف اللغة الوطنية و اللغات القبلية و اللهجات المحلية وهي وظيفة التثقيف الوطني، التي هي بث كل ما يحتاجه المواطن - احتياج ضرورة- لارتباطه بالأعمال التعبدية، كعلوم القرآن و الفقه و السيرة والعقيدة وعلوم اللسان و ما خلفه المسلمون من تاريخ و أدب و فكر..[69]

و لأهمية هذه الوظيفة اتخذت كل ديانة موقفا حاسما من لغة الدين و كتابتها، فإذا كانت اليهودية والإسلام لا تقبلان إلا لغة الكتاب المقدس، فإن المسيحية تتساهل و تجيز قراءة النص المقدس بلغة القارئ. وإذا كان صحيحا أن الأديان مدينة للكتابة، فمن صحيح أيضا أن الكتابة مدينة للديانات. لأن الديانات السماوية ديانات كتب و أصحابها يسمون أهل الكتاب70. فلماذا أجمدت فرنسا نفسها في كتابة القرآن بالعامية ؟

لأن في ذلك كسر لتلازمية الإسلام و اللغة العربية كحقيقة عقائدية؛ إذ لا يجوز التعبد إلا باللفظ العربي. كما أن في ذلك عزل للقرآن و طقوسه الدينية عن اللغة العربية، تمهيدا لإزالة مظاهر القداسة عن العربية، وهو ما تم لها مع جماعة النخبة و الأرستقراطيين، إذ أن بعثتين للحج نظمتها فرنسا لجماعة النخبة، لكن البعثتين فشلت لجهل الجماعة بأبسط ألفاظ العبادات وطقوسها، بل جهلها بالعربية بلغ حد اعتبار العربية مجرد لهجة(باتوا)[71].و هذه هي درجة الانسلاخ التي تريد فرنسا تحقيقها في سياستها اللغوية والتربوية.

إن الادعاء بأسبقية نشر الدين على أسبقية نشر اللغة، كما عند المسيحيين، لم يجُر الجزائريين إلى الانسلاخ عن دينهم، سواء تعلموا المسيحية بلسان عربي، أم تعلموا القرآن بالفرنسية، لأن النظريات الاجتماعية كلها، تؤكد تمسك الجزائري بثوابته تمسكا قل نظيره عند باقي الشعوب. فالذي غاب على فرنسا أن انتشار العربية و كتابتها يعود بدرجة كبيرة إلى مبدأ عدم إمكانية ترجمة القرآن و شعائره إلى اللغات الأخرى[72].

يقول 'كوبر'عن الوظيفة الدينية للغة في مجال التبشير:" وعندما يسعى المبشرون إلى تغيير عقيدة الآخرين أو هدايتهم إلى اعتناق معتقداتهم الدينية ينبغي عليهم أن يقرروا مسبقا ما هي اللغة التي سيستخدمونها وسيلة لنقل رسالتهم و للتحاور مع الآخرين و لا تقتصر ميزة استعمال اللغة التي يتكلمها المستهدف بالتبشير على سهولة نقل الرسالة فحسب. بل إنها تبدو أيضا مألوفة للسامع"[73]. فلا عجب إذن أن نجد المبشرين يجيدون العربية العامية، لنشر المسيحية و الفرنسية بين الأهالي. كما يقول البحاثة 'ساطع الحصري':"كانوا يرون أن التنصير يساعد على الفرنسة كما أن الفرنسة تسهل التنصير"[74].

إن قدسية و شرف العربية ليس لشرف أهلها فحسب بل حتى لشرف غير أهلها الذين حملوها وتمثلوا ثقافتها؛ فترى الرجل ولو من غير العرب إذا ما وقع بصره على قطعة من ورق مكتوبة بالخط القرآني بادر إلى حملها و تقبيلها ظهرا لبطن و وضعها في ثقب حائط أو نحوه خوفا من أن تؤذيها الأقدام أو تختلط بالأقذار و النجاسات[75]. أما طائفة العبرانيين في الجزائر فرغم معرفتهم بعدة لغات، إلا أنهم كما لاحظ أحد الكاتب أن الرّبِيين كانوا يعظون اليهود بالعربية أيضا في بعض المناسبات[76].

خاتمـــــة

إن أهم نتائج البحث في الوضعية اللغوية الجزائرية إبان فترة الاستدمار الفرنسي للجزائر، من الناحية التاريخية و اللسانية الاجتماعية هي:

1. لم يكن للغة العربية سياسة لغوية مدروسة مرسومة، بل كانت لها سياسة موروثة، فتقليدية التعليم هي التي حفظت للعربية وجودها.لأن تعليم اللغة العربية كان تابعا للتعليم الديني. و رغم ذلك بقيت العربية في وضع خطير جدا.

2. لقد كان لفرنسا سياسة لغوية خاصة بالجزائر، رتبت فيها الأولوية لنشر الفرنسية على حساب اللغة العربية و الأمازيغية.

3. من نتائج السياسة اللغوية التي رسمتها فرنسا. ما يلي:

✓عدم استفادة كل فئات المجتمع من التعليم الرسمي لأن التعليم كان موجها أو بالأحرى مُسيَّسًا. ولم يكن هدفه تعليم الجزائريين لا الفرنسية و لا العربية.

✓تكوين فرنسا لنخبة جزائرية فرنسية اللسان، و الثقافة، حظيت بمناصب عمل، فأبدت الإخلاص للمستعمر و تنكرت لأمتها و لغتها و طالبت بتعويضها بالفرنسية. و هذا أدخل جماعة النخبة في صراع مع الذات و مع المحافظين الوطنيين.

✓العربية الفصحى و العامية و الأمازيغية كانت تنعم بالتعايش والاستقرار منذ قرون. إلا أن السياسة اللغوية الفرنسية حاولت إدخالها في علاقة قوة وصراع. ليخلو الجو للغتها فتسُود وسط الفرقة كحل محايد يرتضيه الجميع.

✓السياسة اللغوية الفرنسية كانت تقويضية لكل البنى اللغوية والاجتماعية المتعايشة.

4. ظهور اللغة الفرنسية على الساحة اللغوية الجزائرية لم يكن بريئا. ومن آثاره السلبية؛ ظهور ظواهر لغوية اجتماعية خطيرة، و بدرجات متفاوتة أخطرها العبث بالوظائف اللغوية الاجتماعية للغات في الجزائر.

5- العامية شكلت الخطوط الخلفية للفصحى،لأن العربية الفصحى خنقت في مجالاتها الحيوية. أما الأمازيغية فحاولت فرنسا جعلها شوكة في خاصرة الكيان اللغوي الجزائري

الهوامـــش و المراجـــع

[1]– ينظر DeSaussure :cours de linguistique generale, edition Talantikit,Bijaïa , Algerie, 2002 .p351 يقول دي سوسير:"إن هدف اللسانيات الوحيد و الحقيقي إنما هو اللغة منظورا إليها في ذاتها و من أجل ذاتها "

[2] –روبرت ل كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبو بكر الأسود،إصدار مجلس الثقافة العام، ليبيا، دط، 2006، ص72.

3 - ينظر خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون و المسألة اللغوية: ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة،الجزائر،د ط ،2007، ص10.

4 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ،ص186-187.

5 - ينظر المرجع نفسه ، ص192.

6 - ينظر المرجع نفسه ،ص193-194.

7 - ينظر المرجع نفسه ،ص196-197.

8 - ينظر عبد الفتاح عفيفي:علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،د ط، 1995،ص174.

9 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ،ص198.

10 - ينظر المرجع نفسه ،ص201-203.

11 - ينظر عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص176.

12 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ، ص211.

13 - ينظر المرجع نفسه ،ص212.

14 - ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة الناجح الجديدة، ط1 ، 2002، ص155.

15 - ينظر فرحات عباس:ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006، ص58. و ينظر خولة الإبراهيمي:الجزائريون و المسألة اللغوية،ص20.

16 - كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ،ص188.

17 - ينظر المرجع نفسه ، ص189.

18 - ينظرمحمد لحسن زغيدي: "محاربة الاحتلال للغة و الثقافة العربية و موقف الحركة الوطنية"، مجلة اللغة العربية (العربية من المحنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية)، عدد ممتاز ، 2005 ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، ص389.

19 - ينظر أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط 1، 1992 ،ج1،ص74-77.

20 - ينظر مجاهد ميمون: "اللغة الرسمية و الهوية الوطنية في ظل المجتمع المتعدد اللغات"، مجلة حوليات التراث،جامعة مستغانم،عدد6، 2006، ص60.و ينظر رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، مصر،ط3 ، 1997،ص172.

21- عمدت فرنسا إلى تغيير الاسم الأصلي للقبائل من 'زواوة' إلى الاسم اخترعته الإدارة الاستعمارية وهو 'القبائل'Kabyles". ينظر رابح لونيسي: دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر،د ط، د ت ،ص5.

22- يسلي مقران: الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل1920-1945، دار الأمل،الجزائر،د ط،2007، ص120. نقلا عن الشهاب:م5،ج5، جوان 1929، ص15.

23 - ينظر أحمد بن نعمان:فرنسا و الأطروحة البربرية، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1997،ص172.

24 - محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة الناجح الجديدة، ط1 ، 2002،ص156.

25 - ينظر خولة الإبراهيمي: الجزائريون و المسألة اللغوية، ص20.

26 - ينظر المرجع نفسه،ص20.

● وهي ميزة اللغات التي تخطت موطنها الأصلي و انتشرت خارج حدودها بعامل القهر الثقافي أو السياسي، فأصبحت أداة للتواصل بين بلدان كثيرة، و أداة لوظائف التعبد و التثقيف الوطني و الانسجام الاجتماعي أو في أغلبها. ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي ، ص153.

●● سبقت الإشارة إليها و هي:الوظيفة التعبدية، و التثقيف الوطني، و الانسجام الاجتماعي. ينظر المرجع نفسه،ص151-153.

27 - ينظر المرجع نفسه، ص153.

28 -عثمان سعدي:"اللغة العربية و لهجاتها المتفرعة عنها:مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال و بعده"، الفصحى وعامياتها، أعمال الندوة الدولية،2007،، ص124.

29 - ينظر صالح لبعيد:في المواطنة اللغوية و أشياء أخرى...، دار هومه ، الجزائر،د ط ، 2008،ص56. نقال عن سالم شاكر أن نسبة الإثراء بلغت 49% و قيل 65%. و ينظر أحمد بن نعمان:فرنسا و الأطروحة البربرية،ص186.

30 - ينظر خولة الإبراهيمي: الجزائريون و المسألة اللغوية،ص20.

31 - ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي،ص152.

32 - ينظر المرجع نفسه، ص155.

33 - ينظر عبد الفتاح عفيفي:علم الاجتماع اللغوي، ص129.

●جماعة النخبة هي جماعة رخوة الشخصية، لم يتبنوا أفكار الغرب، ووسائل عيشه، و طريقته في العمل و ثقافته و تعليمه فقط، بل أرادوا أيضا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي. ينظر أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية 1900- 1930، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط4 ،1992 ،ج2،ص161.

34-Louis-Jean Calvet :La Guerre des Langues et les politiques linguistiques :, Hachette Littératures , France , 1999, p84.

35 - ينظرصالح بن القبي:" مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها"، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص211.

36 - ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص81.

37 - أحمد بن نعمان:فرنسا و الأطروحة البربرية، ص65. و ينظر عثمان سعدي: التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية: عثمان سعدي، دار الأمة، الجزائر، د ط ، د ت، ص196.

38 - ينظر المرجع نفسه ،ص10. و ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص83.وينظر عثمان سعدي:التعريب في الجزائر ،ص195-196.

39 - ينظر خولة الإبراهيمي: الجزائريون و المسألة اللغوية، ص25. و ص53.

40 - ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص103.

41 - ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص187.

42 - كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ،ص204.

43 - أحمد الإبراهيمي:من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972،ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،د ط ،د ت،ص16.نقلا عن جورج هاردي.« l'enseignement en A.O.F: une conquête morale»

44 - ينظر محمد يحياتن:دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال فترة الاستعمار، منشورات المجلس العلى للغة العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 2005،ص17.

45 - ينظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية،ج2،ص63.(الهامش).

46 - كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ،ص207-208.

47 - محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص163.

48 - ينظر صالح بن القبي:" مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها"، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص211-212.

49 - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص161.

50 -أحمد بن نعمان: "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"،اللغة العربية،عدد ممتاز، ص234.

51 - ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص152.

52 - ينظر أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية،ج2،ص62.

53 -مصطفى الهشماوي: "حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر"،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص281.

54 - محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص131. و ص159.

55 - أحمد بن نعمان: "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص240-241.

56 - محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص159.

●الظهير البربري قانون استصدرته الإدارة الاستعمارية بالمغرب الأقصى، إلا أن الصدور الرسمي له كان في 16 مايو 1930، وهو يعطي صلاحيات قضائية عرفية و ينشئ محاكم تستند في أحكامها إلى العادات و التقاليد البربرية لا إلى الشريعة الإسلامية. ينظر "وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص60. و ينظر رابح لونيسي:دعاة البربرية في مواجهة السلطة،ص31.

57 - ينظر المرجع نفسه، ص143. و ينظر صالح بلعيد:في الهوية الوطنية، دار الأمل، الجزائر، د ط ، 2007،ص105. قال صالح بلعيد:"حاول[الاستعمار]أن يتخذ الأمازيغية قميصا يثير به النعرات".

58 - محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي،ص85-89.

59 - ينظر عبد الرزاق بنور:الكتابة في المتوسط،د ط،منشورات زرياب،الطباعة العصرية،الجزائر،2004، ص126.

60 - محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص87.

61 - صالح بلعيد: في المواطنة اللغوية و أشياء أخرى،ص46. و ينظر أحمد بن نعمان:فرنسا و الأطروحة البربرية، ص79. ويروي أن الأمازيغية لم تكن هي اللغة الوطنية في عهد ماسينيسا أو خلفائه، لأنهم كانوا مغرمين باللغة اللاتينية واليونانية، فماسينيسا ربى أبناءه تربية إغريقية، حتى أنه علَّم ابنه ماصيبسا الإغريقية و الرومانية والبونيقية.والبونيقية:هي اللغة الفينيقية القديمة،التي دخلت إلى المنطقة،مع ظهور الدولة القرطاجية ،ولقد ظلت هذه اللغة (أي البونيقية) سيدة الموقف إلى غاية دخول الاستعمار الروماني.

62 - ينظر المرجع نفسه،ص64.

63 - ينظر عبد الرزاق بنور: الكتابة في المتوسط، ص125.

64 - ينظر أحمد بن نعمان: فرنسا و الأطروحة البربرية، ص79-80.

65 - ينظر عبد الرزاق بنور:الكتابة في المتوسط، ص144. و ينظر في الهوية الوطنية: صالح بلعيد،ص105. و ينظر فتحي جمعة:اللغة الباسلة،دار النصر للنشر و التوزيع،ط5، 2000،ص200.. و من ذلك مثلا الفارسية و الأفغانية (البشتو، الأردو)، و الماليزية الكردية السندية و الكاشميرية و لغة الملايو [تستعمل الخط العربي منذ القرن 16م و اللغة الملايوية هي اللغة الرسمية لكل من ماليزيا وبروناي و سنغافورة، وهي اللغة الرسمية إندونيسيا، ولكن اسمها مختلف لأسباب سياسية. عدد المتحدثين باللغة الملايوية هو 20 إلى 30 مليون. ينظر موسوعة ويكيبيديا،http://ar.wikipedia.org/wiki .و ينظر ماريوباي:أسس علم اللغة،ترجمة أحمد مختار عمر، ط8 ، علم الكتب ، مصر ، 1998،ص191]، الإسبانية التركية(حتى سقوط الخلافة في 1928)، و في الحزام الأفريقي الذي يشمل اللغات السودانية و الغينية (الكانورى و الهوسا والفلانية)، وأيضا اللغات الأمازيغية..

66 - ينظر أحمد بن نعمان: فرنسا و الأطروحة البربرية، ص74.

67 - ينظر عبد الرزاق بنور:الكتابة في المتوسط، ص124-125.

68 - ينظرمصطفى شريك:" اللغة العربية و الإستراتيجية الاستعمارية"، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص360-361.

69 - ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص152.

70 - ينظر عبد الرزاق بنور:الكتابة في المتوسط،ص119.

71- ينظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية،ج2،ص162- 164.يتحدث المؤرخ الفرنسي'غوتيي''Gautier'عن بعثة أخرى من البرجوازية الجزائرية إلى مكة في1934. فلاحظ جهلها بالعربية بلغ حد عدم اعتبارها لغة عن قناعة، فهي عندهم مجرد لهجة(باتوا) (Patois) فقط.

72 - ينظر عبد الرزاق بنور:الكتابة في المتوسط،ص120.

73 - كوبر: التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي ،ص213.

74 - أحمد بن نعمان:"وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص231.

75- ينظر محمد الأوراغي: التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص82. عن عبد العلي ودغيري:اللغة و الدين و الهوية،ص38.(الهامش).

76- ينظر أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية،ج1،ص374-375.